علم النبي بالغيب

للاستاذ ناصر سعد

ذكرت لنا كتب التاريخ الإسلامي أن النبي (ص) كثيراً ما كشف عن حوادث لا يعرف سرها إلا أصحابها ، وكثيراً ما أنبأ عن حوادث المستقبل فكانت كما قال . إن النبي ولا شك كان يعلم الغيب فيخترق بعقله أو بروحه الحجب ويعرف حقائق أسرار الكون، وكل ذلك بقوة إلهية وهبت له كنبي عظيم جعله ربه خاتما لأنبيائه ، ولا مجال لتكذيب هذا الأمر اليوم بعد أن أقر علم النفس الحديث (قراءة الأفكار) وأثبت علم الأرواح أن بالإمكان إحضارها ومحادثتها ، وأن بعض نجاح الأناس العاديين بهذين العلمين هذا الزمن لهو خير دليل على تمكن النبي (ص) من اختراق حجب السماء والاتصال بالأرواح الخيرة والملائكة ، لأنه زيادة على السر الإلهي المودع فيه ذو نفس أكبر وأزكى ، وذو عقل أوسع وأنمى من عقول البشر . ونقول إنه سر إلهي أودعه محمدا (ص) بعد البعثة ؛ إذ لو لم يكن كذلك لظهر له من المعجزات قبل بعثه ولتحدث عنها التاريخ . ولما كان في تلك الحوادث متعة وفي عرضها إظهار لعظمة النبي أحببنا أن نعرض بعضها على باصرة القارئ ؛ فنقول إن من تلك الحوادث :

حادث عمار بن ياسر (ض) لما دخل على الرسول (ص) وقد أرهقه قريش بالأذى وحملوه وأثقلوه باللين [١] فقال (يارسول الله ! قتلوني ، يحملون على ما لا يحملون) فقال رسول الله (ويح ابن سمية [٢] ليسوا بالذين يقتلونك . إنما تقتلك الفئة الباغية) قيل وسمع رسول الله (ص) يقول (ألا لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض فإن الحق يومئذ لمع عمار) ولما كانت صفين خرج عمار على رأس كتيبة لعلي بن أبي طالب (ض) فطعنه أحد رجال معاوية فانكشف مغفره عن رأسه فضربه الرجل على رأسه فقتل (ض)

(١) الآجر قبل أن يشوى

(٢) هي أمة أبي حذيفة وأول شهيدة في الإسلام وجأها أبو بجرية فقتلها

ومنها أن النبي (ص) لما خرج إلى العشيرة [٣] ونزل بها ذهب علي بن أبي طالب (ض) وعمار بن ياسر (ض) إلى عين ماء ونخل لبني « مدلج » [٤] فنظرا كيف يعمل أهلها ثم غشيهما النوم فناما وسفت عليهما الريح التراب وما هما إلا برسول الله « ص » يوقظهما قائلا لعلي : (مالك يا أبا تراب ؟ — لما عليه من التراب — ثم قال : ألا أحدثكما بأشقى الناس رجلين قالا : بلى يارسول الله . قال : أحيمر ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك يا علي على هذا — ووضع يده على قرنه — حتى يبل منه هذه — وأشار إلى لحيته —) . وقد كان ما كان من ضرب ابن ملجم رأس أمير المؤمنين علي على رأسه . ومن ذلك أن صفوان بن أمية وعمير بن وهب اجتمعا في الحجر [٥] بعد نكبة قريش ببدر وأسر وهب بن عمير بن وهب ؛ فقال صفوان يذكر القتلى من أصحابه : والله إن في العيش بعدهم خيرا ، فقال عمير : صدقت والله . أما والله لولا دين علي ليس له عندي قضاء ، وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدي، لركبت إلى محمد حتى أقتله — قال صفوان : علي دينك أنا أقضيه عنك وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا لا يسعني شيء ويعجزهم ، فقال عمير : فاكتم شأني وشأنك . قال صفوان « أفعل » ثم أعد عمير سلاحه فسم سيفه وذهب إلى المدينة يريد النبي فرآه عمر على باب مسجد الرسول وهو يحمل سيفه فدخل على رسول الله (ص) فقال له : يانبي الله ! هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحا سيفه ، قال : فأدخله علي ، فلما دخل عمير ورآه الرسول (ص) ورأى عمر قد أخذ بحمالة سيفه قال: ارسله ياعمر . ادن ياعمير، فلما دنا من النبي قال : انعموا صباحاً ، فقال النبي : قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك ياعمير . بالسلام تحية أهل الجنة ، فقال عمير : أما والله يامحمد إن كنت بها لحديث العهد ، قال النبي : فما جاء بك ياعمير ؟ قال : جئت لهذا الأسير [٦] الذي في أيديكم فأحسنوا فيه، قال : فما بال السيف في عنقك ؟ قال قبحها الله من سيوف وهل أغنت شيئا ؟ قال النبي : اصدقني ماالذي جئت له ؟ قال: ماجئت إلا لذلك، قال النبي (ص)

(٣) ناحية ينبع

(٤) بضم فكون فكسر

(٥) قصبة باليمامة

(٦) هو وهب بن عمير بن وهب

بل قعدت أنت وصفوان فى الحجر فذكرتما أصحاب (٧) القليب من قريش ، ثم ذكر جلية الأمر فانبهت عمير وقال : أشهد أنك رسول الله ، قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء .. الخ ثم أسلم

ولما أسر العباس عم النبى يوم بدر وطلب منه النبى أن يفدى نفسه ويفدى ابنى أخويه عقيلا ونوفلا قال فإنه ليس لى مال، قال النبى (ص) فأين المال الذى وضعته عند أم الفضل بمكة حين خرجت وليس معكما أحد ؟ ثم قلت إن أصبت فى سفرى هذا فللفضل كذا ولعبد الله كذا ، قال العباس : والذى بعثك بالحق نبيا ماعلم بهذا أحد غيرها ، وإنى لأعلم أنك رسول الله ، ثم إنه فدى نفسه بمائة أوقية ولكل من ابنى أخويه أربعين أوقية وقال : تركتنى أسأل الناس فى كنى ، ثم إنه أسلم وأمر ابن أخيه عقيلا فأسلم

ومن ذلك ماروى عن سلمان الفارسى (ض) قال ضربت فى ناحية من الخندق فغلظت على صخرة ورسول الله (ص) قريب منى ، فلما رآنى أضرب ورأى شدة المكان على نزل فأخذ المعول من يدى فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة ، ثم ضرب به ضربة أخرى فلمعت تحته برقة أخرى، ثم ضرب به الثالثة فلمعت تحته برقة أخرى، فقال سلمان للنبى: بأبى أنت وأمى يارسول الله ، ما هذا الذى رأيت لمع تحت المعول وأنت تضرب ؟ قال الرسول : أو قد رأيت يا سلمان ؟ قال نعم، قال أما الأولى فإن الله فتح على بها اليمن، وأما الثانية فإن الله فتح على بها الشام والمغرب، وأما الثالثة فإن الله فتح على بها المشرق — وكان كما قال رسول الله من الفتوحات التى من بها الله على الإسلام، وهنا نقول إنه يتراءى للقارئ الكريم أن ظهور البرقة من دق الحديد بالحجر شئ عادى لا يبهر الناس ولكن الحال هنا ليس كذلك؛ لأن من مثل سلمان الفارسى والذى خبر الحياة وعركها ورأى ما رأى من جبال فارس والحجاز لم يكن ليتعجب من البرقات الثلاث إلا لأنه رآها حدثت بحال غير عادية طبعاً

ومنها أن رسول الله (ص) لما خرج لغزو بنى المصطلق وسلك بالناس الحجاز ووصل ماء بقعاء (٨) ثم راح منها هبت عاصفة شديدة خاف منها المسلمون ، ولما رأى النبى جزعهم قال : لا تخافوها فإنما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار — قيل فلما وصل المسلمون المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت وهو أحد عظماء بنى قينقاع قد هلك ذلك اليوم

ومن ذلك أن رسول الله (ص) لما دخل الكعبة بعد الفتح أمر بلالا (ض) أن يؤذن فيها فأذن؛ وكان أبو سفيان بن حرب وعتاب بن أسيد والحارث بن هشام جالسين بفناء الكعبة ولم يسلم هذان الأخيران بعد فقال عتاب : لقد أكرم الله أسيداً ألا يكون سمع هذا فيسمع منه مايغضبه، فقال الحارث: أما والله لو أعلم أنه محق لاتبعته ، فقال أبو سفيان : لا أقول شيئاً لو تكلمت لأخبرت عنى هذه الحصى — قيل فلما جاءهم الرسول (ص) قال : قد علمت الذى قلتم ، ثم حكى لهم ما كانوا تكلموا به ، فقال الحارث وعتاب : نشهد أنك رسول الله .. والله مااطلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرك

ومنها أن حاطب بن أبى بلتعة لما تهيأ الرسول (ص) لفتح مكة كتب كتابا لقريش ينبئهم فيه بما عزم عليه الرسول وأرسل كتابه ذاك مع سارة التى كانت مولاة لبعض بنى عبد المطلب ؛ فأخذته هذه ووضعته على رأسها تحت شعرها وراحت تطلب مكة ، ولما علم رسول الله بالخبر من السماء أرسل على بن أبى طالب (ض) والزبير بن العوام (ض) وطلب منهما أن يلحقا بالمرأة ويأخذا كتاب حاطب منها ؛ فذهبا ولحقا بها فى بعض الطريق وبحثا فى رحلها فلم يجدا للكتاب أثراً فقال على (ض) إنى أحلف بالله ما كذب رسول الله ولا كذبنا ، ولتخرجن لنا هذا الكتاب أولنكشفنك ، فلما رأت المرأة أنلا مناص من إظهار الكتاب ناولته إياها فأتيا به رسول الله (ص) فسأل حاطباً عن ذلك فقدم للنبى سبباً واهياً لما حدث منه وطلب عمر (ض) أن يسمح له بقتله فلم يسمح له بذلك، ثم نزلت بحق حاطب هذا هذه الآية الشريفة (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة ..)

(٧) القليب : بئر أمر الرسول أن تطرح فيها القتلى من المشركين وهو بفتح فكسر

(٨) ماء بالحجاز قريب النقيع وهو المحل الذى تجهز فيه أبوبكر (ض) لمحاربة أهل الردة

ومن تلك الأنباء أن أهل جرش(٩) لما أرسلوا رجلين منهما إلى الرسول (ص) بالمدينة لينظر فى أمره قال الرسول والرجلان جالسان عنده: بأى بلاد الله شكر ؟ فقام الجرشيان وقالا يارسول الله ببلادنا جبل يقال له كشر وكذلك يسميه أهل جرش فقال : إنه ليس بكشر ولكنه شكر، قالا: فاشأنه يارسول الله ؟ قال : إن بدن (١٠) الله لتنحر عنده الآن — ثم جلس الرجلان إلى أبى بكر (ض) فقال لهما : ويحكما إن رسول الله (ص) الآن لينعى لكما قومكما فقوما إلى رسول الله (ص) فاسألاه أن يدعو الله أن يرفع عن قومكما، فلما أتيا الرجلان الرسول وسألاه ذلك قال : اللهم ارفع عنهم — ثم إنهما لما رجعا لقومهما وجداهم قد أصابهم صرد بن عبد الله اليوم والساعة التى أخبرهما بها الرسول — قيل ثم أسلم أهل جرش

ومنها أن رسول الله (ص) لما مر بالحجر إبان أمره الناس بغزوة تبوك نزل ماء وأمر الناس ألا يشربوا منها وأمرهم إن كانوا قد عجنوا منها أن يعلفوه للابل ومن جملة قوله فى ذلك : ولا يخرجن أحد منكم الليلة إلا ومعه صاحب له — قيل فعمل الناس بما أمر به النبى (ص) إلا رجلين منهم خرج أحدهما لقضاء حاجة فخنق على مذهبه وخرج الآخر فذهبت به الريح لجبلى طى؛ فلما علم الرسول (ص) بذلك قال : ألم أنهكم أن يخرج منكم أحد إلا ومعه صاحبه ؟ فأما الذى خنق فقد دعا له الرسول فشفى ، وأما الآخر فقد أهدته طى للرسول عند قدومه المدينة

ومن ذلك أن الرسول لما بعث خالد بن الوليد إلى أكيدر بن عبد الملك ملك كندة النصرانى قال له: إنك ستجده يصيد البقر، ثم جد خالد بطلبه ولما كان على مد البصر من حصنه فى ليلة مقمرة كان أكيدر وزوجته على السطح يستروحان وقد كثر البقر حول الحصن حتى أنه كان يضرب الأبواب بقرونه؛ فقالت امرأة أكيدر: هل رأيت مثل هذا قط ؟ قال: لا والله، قالت: فمن يترك هذه؟ قال لا أحد، ثم إنه أمر بفرسه وسلاح صيده فركب هو وأخوه حسان ونفر من قومه يريد صيد البقر فلما أوغلوا فى الفلاة ولقيهم خالد حاربهم فقتل حسان وأسر أكيدراً ذاك

ومنها أن عبد الله بن أنيس (ض) لما بعثه الرسول لمنازلة خالد بن سفيان بن نبيح(١٠) الهذلى الذى جمع الجموع لمحاربة الرسول قال لرسول الله : يارسول الله انعته لى حتى أعرفه ، قال: إنك إذا رأيته أذكرك الشيطان وآية ما بينك وبينه أنك إذا رأيته وجدت له قشعريرة ، قيل فلما خرج عبد الله ورأى خالداً فى ظعن له وقت العصر وجده كما وصفه الرسول (ص) فلما قتله وعاد ورآه رسول الله قال: أفلح الوجه، فقال عبد الله: قد قتلته يارسول الله، قال: صدقت ومنها أن عمير بن عدى الأموى لما قتل عصماء بنت مروان الأموية عدوة النبى وذلك بغرسه سيفه فى صدرها ليلا ولم يعرف أحد ذلك وجاء المسجد ليصلى الصبح مع الرسول قال له النبى بعد أن هم بالخروج من المسجد: أقتلت ابنة مروان ؟ قال : نعم يارسول الله قال: نصرت الله ورسوله، فقال: عمير: هل على شئ من شأنها يارسول الله؟ قال : لاينتطح فيها عنزان

(٩) بضم ففتح فسكون

(١٠) جمع بدن وهو العظيم الجسم وجمع بدنة وهى الناقة . وهى بضم أولها وثانيها

العراق ناصر سعد

ظهرت الطبعة الرابعة الجديدة للمجلد الأول
من كتاب
وحى الرسالة
الأستاذ أحمد حسن الزيات
طبع طبعا أنيقا على ورق مقيل وقد بلغت عدد صفحاته خمسمائة صفحة ونيفاً
وهو يطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد